من العموم القانتين لانهما من اعقاب هارون اخي موسى والاول هو الوجه
لان الغرض مدحهما بانهما صدقت شرائع ربها وكتبه وكانت من القانتين
والمطيعين له ومنه تغليب جانب المعنى على جانب اللفظ نحو قوله تعالى
بل انتم قوم تجهلون بتا الخطاب والقياس الغيبة لان الضمير عائد الى قوم
ولفظه لفظ الغائب لكونه اسما مظهرا لكنه في المعنى عبارة عن المخاطبين
فغلب جانب الخطاب على جانب الغيبة ومنه ابوان ونحو كالحسنين للحسن
والحسين رضي الله عنهما والعمرين لابي بكر وعمر رضي الله عنهما والقمرين
للشمس والقمر ونحو ذلك مما اشبه ذلك مما غلب احد المتصاحبين او المتشابهين
على الاخر بان جعل الاخر متفقا له في الاسم ثم ثني ذلك الاسم وقصد اليهما جميعا
وينبغي ان تغليب لاخف الا ان يكون احدهما مذكرا فانه يغلب على
المونث كالقمرين ولا يخفى عليك ان ابوين وقمرين من هذا القبيل لا من
قبيل قوله تعالى وكانت من القانتين اذ ليس تغليب احدهما على الاخر باجرى
عليهما الوصف المشترك بينهما على طريقة اجرائه على المذكر خاصة بل ان جعل
احدهما متفقا للاخر فاسمه ثم ثني ذلك الاسم **فان قلت** لا يكفي في المثنى
الاتفاق في اللفظ بل لابد من الاتفاق في المعنى ولذا اناولوا الزيدين بالمسمى
زيد فلا يطلق قران الا على الطهرين او الحيضين لا على طهر وحيض **قلت**
مختلف فيه قال الاندلسي يقال العينان في عين الشمس وعين الميزان
فهم يعتبرون في المثنى والجمع الاتفاق في اللفظ دون المعنى ولو سلم فيكون
مجازا وجميع باب التغليب من المجاز لان اللفظ لم يستعمل فيما وضع له الا ترى ان
القانتين موضوع للمذكر الموصوفين بهذا الوصف فاطلاقهم على الذكور و
الاناث اطلاق على غير ما وضع له وقس على هذا جميع الامثلة السابقة
ومنه تغليب الجنس الكثير الافراد على فرد من غير هذا الجنس مغمور فيما بينهم بان
يطلق اسم ذلك الجنس على الجميع كقوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا
الا ابليس عد ابليس من الملائكة لكونه حاضرا واحدا فيما بينهم ومن تغليب الاكثر على
الاقل من جنس ان ينسب الى الجميع وصف مختص بالاكثر كقوله تعالى حكاية عن قوم
شعيب لنخرجنك يا شعيب والذين امنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا
ادخل شعيب في حكم العود الى ملتهم مع انه لم يكن في ملتهم قط حتى يعود
اليها

٦٧

اليها وانما كان في ملتهم من آمن به ومنه تغليب المتكلم على المخاطب والغائب نحو
انا وانت فعلنا وانا وزيد ضربنا ومنه تغليب المخاطب على الغائب نحو انت وزيد
والقوم فعلتم قال الله تعالى وما ربك بغافل عما تعملون فيمن قرأ بالخطاب
والمعنى تعملون انت يا محمد وجميع من سواك من المكلفين وغيرهم ولا يجوز ان
يعتبر خطاب من سواه من غير اعتبار التغليب لامتناع ان يخاطب في كلام واحد
اثنان او اكثر من غير عطف او تثنية او جمع فافهم ونحوه قوله تعالى قال الله تعالى
فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء اي جزاؤهم وجزاؤك وقال يا ايها الناس
الذي توجه اليهم الخطاب اولا وللذين من قبلكم الذي ذكر بلفظ الغيبة لان لعلكم
متعلق بقوله خلقكم لا بقوله اعبدوا حتى يختص بالناس المخاطبين اذ لا معنى لقولنا
اعبدوا لعلكم تتقون ومنه تغليب العقلاء على غيرهم باطلاق اللفظ المختص بالعقلاء
على الجميع كما يقول خلق الله الناس والانعام ورزقهم فان لفظ هم مختص بالعقلاء و
قد يجمع في لفظ واحد تغليب المخاطب على الغائب والعقلاء على غيرهم كقوله تعالى
جعل لكم من انفسكم ازواجا ومن الانعام ازواجا يذرؤكم فيه اي خلق لكم ايها الناس
من انفسكم اي من جنسكم ذكورا واناثا وخلق للانعام ايضا من انفسها ذكورا واناثا
يذرؤكم يكثركم ايها الناس والانعام في هذا التدبير والجعل لما فيه من التمكن
من التوالد والتناسل فهو كالمنبع والمعدن للبث والتكثير فقوله يذرؤكم خطاب
شامل للناس المخاطبين والانعام المذكورة بلفظ الغيبة ففيه تغليب المخاطب على
الغائب والا لما صح ذكر الجميع اعني الناس والانعام بطريق الخطاب لان الانعام
غُيّب وتغليب العقلاء على غيرهم والا لما صح خطاب الجميع بلفظ كم المختص بالعقلاء
ففي لفظ كم تغليبان ولولا التغليب لكان القياس ان يقال يذرؤكم واياها كذا في
الكشاف والمفتاح وغيرهما ولقائل ان يقول جعل الخطاب شاملا للانعام تكلف
لا حاجة اليه لان الغرض اظهار القدرة وبيان الالطاف في حق الناس فالخطاب
خص بهم والمعنى يكثركم ايها الناس في هذا التدبير حيث مكنكم من التوالد والتناسل
وهيأ لكم من مصالحكم ما تحتاجون اليه في ترتب المعاش وتدبير التوالد والانعام
خلقنا لكم فيها دفء ومنافع ومنها تاكلون وجعلها ازواجا تسقى سقاكم وتدوم لكم
على هذا يكون التقدير وجعل لكم من الانعام ازواجا وهذا انسب بنظم الكلام
مما قدروه وهو جعل للانعام من انفسها ازواجا ومنه تغليب الموجود على ما لم يوجد

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)